The Dispute of Flirtation and Enthusiasm in Pre-Islamic Poetry An Objective Artistic Study For Teaching Arabic Literature

جدلية الغزل والحماسة في الشعر الجاهلي دراسة موضوعية وفنية لتعليم الأدب العربي

Arif Abdullah Mahmoud
Al-Imam University College, Salah-Deen, Iraq
arifmah6262@gmail.com

Abstract
Teaching Arabic, especially literature related to poetry, must also teach the character of Arabic writers. The flirtation movement was mixed with enthusiasm because it is found in all atmospheres, even in the poems of love, especially when it grows stronger and becomes the beloved in the comedy of heroism. For example, Antarah bin Shaddad, who collected the sword and the arrows, stabbed the honey in an atmosphere in which war and love were mixed for the sake of highness and the sublime (Al-Baldawi). Therefore, we find his poetry strong, devoid of softness and tenderness because he lived in the atmosphere of war, suffering, and the cruelty of its conditions. Thus, his language is enthusiastic, intense, and lacks indolence. The Arabic people are the sons of their environment. They are knights who stretch in the desert (the Arabian Peninsula) with all dignity and pride, confident in step, strong-willed, basking in the whims of freedom and fulfillment. The Arabs are assertive and do not slacken in the face of adversity, no matter the sacrifices it costs. This is how they love life and land—singing in it the hymn of war and flirting with those on it with the passion of love. It was a subject that occupied the interest of the pre-Islamic poets until they issued it at the beginning of his poems. That nature of art which is a psychological need, represents facts and consciousness as it is. The spirit of life awakens a person's sense of meanings that cannot be hidden or ignored, no matter how great or magnificent it is, because it is part of his breath (Abdullah). Thus, the psyche of the knights' poets was a song sung by the poem of love following the blockages and desertions they are experiencing and the separation or departure that makes them sleepless. It also provokes their anger towards those they love, as they convey their complaints in an unbearable alienation, continuing to talk about their suffering in search of solutions to resolve their crises and seeking to deal with the sad things (Abdel-Baqi).
Keywords: Flirtation; Enthusiasm; Confident; Freedom; Desert

ملخص
لقد امتزجَتْ حركة التغزل بالحماسة لكونها ((جذوةٌ مُتَّقِدةٌ في كلِّ الأجواء حتى في قصائد الحب ولاسيما عندما يشتد وتصبح الحبيبة في ملهاة البطولة كالذي حصل مثلاً لعنترة بن شداد وقد جمع السيف والرمح وثغر الحبيبة في جوٍ امتزج فيه الحرب والحب من أجل العلا والمعالي) (al-Baldawi) لذا نجد شعره قوياً يخلو من النعومة والرقة؛ لأنه عاش أجواء الحرب ومعاناتها وقسوة ظروفها، لذا

تطبع لسانه على القول المفعم بالحماسة والشدّة وعدم التراخي. فالعربي ابن بيئته ذلك الفارس الذي يتمطى في فضاء الصحراء (جزيرة العرب) بكل شموخ واعتزاز، واثق الخطوة، قوي الإرادة، متنعماً بهوى الحرية، مستنشقاً لهوى الكبرياء، معتداً بذاته، ولا يسمح لها بالتراخي أمام المحن مهما كلف الأمر ذلك من تضحيات، هكذا استهوى العربي حب الحياة والأرض متغنياً فيها بنشيد الحرب ومتغزلاً بمن عليها بهوى الغرام لأن ((الهوى والشوق والميل الفطري لدى الأنثى هو مصدرانبعاث هذه الألوان النفسية جميعاً. وكان موضوعاً شغل اهتمام الشاعر الجاهلي حتى صدَّره في بداية قصائده، وتلك طبيعة الفن الذي هو حاجة نفسية يتمثل حقائق الوجدان كما إنها طبيعة الحياة التي توقظ إحساس الإنسان على معانٍ لا يستطيع اخفاءها أو تجاهلها مهما دقّتْ أو عظمت؛ لأنها جزء من أنفاسه)) (Abdullah). هكذا كانت نفسية الشعراء الفرسان أنشودة مغناة بقصيد الحب على أثر ما يعتريهم من صدود وهجران، وافتراق أو رحيل يقض مضاجعهم، ويثير حفيظتهم نحو من يحبون، وهم يبثون شكواهم في غربة لا تطاق، مسترسلين بالحديث عن معاناتهم بحثاً عن حلول لفك أزماتهم، وسعياً لكشف غطاء الهم الذي كدّر حياته(Abdel-Baqi)

المقدمة

خلق العربي على سجيته كريماً مكرماً، عزيزاً معززاً، حبيباً محبوباً، يتعارض مع من يتعارض معه، وينسجم مع من يحترمه ويقدره، ومن يحبه ويهواه، وفي الوقت نفسه يختلف مع من يتعارض وهذه الرؤية، وهو شعور طيب مكلل بالعزة والإباء والمبني على حسن التصرف لبناء الشخصية القادرة على بث مشاعرها الغرامية عِبْرَ نشيد الحرب المشحون بعاطفة الهوى ولوعة الصدود، مفتخراً بالذود عن الحرمات، وثوابت القيم المتمثلة بالغيرة والمروءة، والكبرياء والشموخ، فلا يسمح لذاته الانكسار أمام تيار الهوى ومغريات الحب؛ لكونه لا يرتضي إلّا بما يرفع الشأن ويعزز المكانة لشريكة الحياة المستقبلية، لذا نجده يوظف فروسيته لحماية هذه المفاهيم؛ لكون الحبيبة ونفسه جزءاً من هذا الكيان القومي.

ولا يمكن بناء الشخصية بناءاً متيناً إلّا على وفق الضوابط الاجتماعية والعقدية فضلاً عن تربية الذات التي تُعدُّ ركناً أساساً في تقويم الفرد وتوجيهه الوجهة الفضلى، وللبيئة كذلك دورٌ مميز في صقل شخصيته، وبنائها بناءاً يحمل كل أبعاد القوة والرزانة والقدرة على تحمل الظروف فجعلت منه بطلاً شجاعاً يهوى المنازلة ضد الخصم، وبروح قتالية فذة، مرتضياً لهذا الاختيار الصعب لكي يسطر أروع الملاحم والبطولات، وهي صورة إعلامية لإثبات شجاعته أمام محبيه، وخطوة جبارة لصنع تاريخ حافل بالذكر للذين يعتزون بذواتهم الطامحة إلى العلا، وسؤدد المجد برايات ترفرف وبأيادي

تصفق وبأقلام تحبر قيم الفروسية والمحبة فضلاً عن انصاف الطرف الآخر بما يحمله من سلوك راكز لحسن حديث وعلاقة معشر.

ولم يكن الجاهلي ميالاً إلى التجاوز أو الاعتداء بقدر ما هو يترفع عن النزعة العدوانية، ويتصدى لها بكل ما يمتلكه من ثقافة أدبية تحمل روح الفكر الإنساني الجاد إلى نشر الفضيلة، وزرع نفس التآخي المبني على المحبة والوداد والصفوة والتسامح؛ لكونها الأساس في وضع حجر الأساس لبناء العش الذهبي بثبات الحب بأواصر صادقة، وعلى الرغم مما يمتلكه من ذاتٍ تتغنى بهذا الوجود الإنساني القيمي وأمر لا يقبل الشك ولا يخضع للجدال في الوقت نفسه كما إن للذات شعوراً واحساساً إذ ترفض فيه كل من يحاول تجاوز خطوطها الحمراء، فهي الجدار العازل لتلك القيم، والحامي لها من كل متطاول عنيد يهدف إلى التغلغل لكسر هذا الطوق الشامخ ولعلَّ مثل هذا الشعور السامي تُطرِبُ له نفوس الأحبّة بوصفه أسلوب جذاب مُتَّبع للحظوة برضاهم وكسبهم. هكذا بنيت شخصية الجاهلي على وفق معايير القيم المتأصلة بقوة الاعتداد، والمتشمخرة إلى سلب الحقوق بالسواعد بعد أن تعجز الحناجر عن استرجاع ما ذهب والتي لم ترمِ الوصول إلى مبتغاها بالحوار والمداولة، ومن الطبيعي إنّ مثلَّ هذا السلوك المفعم بالاصرار هو الذي يُسِرُّ الأحبّة ويكسب رضاهم.

وحين يقع الفرسان في غرام الحب على أثر ودادٍ وصفوة، وحسن حديث بُنيَّ على حب المسامرة وتبادل الآراء في موضوع الهوى، فلم يكن بالهين قطع العلاقة بينهم إلا على أثر وشاية أو خلاف أو خيانة لعهد أو تناقض في آراء، فمن الطبيعي أن يحصل لمثل هذا الصدود والهجران لأزمات نفسية قد غيرت بهم على أثر ظروف الحب التي اتسمت بالتقلب وعدم الاستقرار فيه فبذلك تنقطع العلاقة بسبب عدم الوفاء، والتنكر لذات الآخر، يدفع من بنى حبه على حسن الرضا والالتزام بالمواعيد، وعدم خيانة العهد والذات، أن يغير رأيه منتفضاً ثائراً على من ابتدأ بالتجافي من دون عذر يذكر أو شَرعٍ يُجَوّزُ سبب القطيعة والهجران.

وهذا ما كابده وذاق مرارته علقمة الفحل في شكوى مُرّة من حبيب تأثر بأقوال الوشاة من جهة، ومن كانوا سبباً في قطع وصال الحب من جهة أخرى، موبخاً نفسه، متنكراً عليها هذا التتبع من قِبَله، لكونها هي السبب الوحيد في هذه القطيعة، محاوراً إياها بصيغة الخطاب الحاد ويدعوها إلى قطع العلاقة وبشكل نهائي ((وهذا ما فعله الوعي الحركي أنه أراد أن يعكس هذه الفكرة تماماً، أي يحرر ذاته من هذا الوجود المشروط لكونه لم يستطع أن يوفر لها إمكانات الإستمرار والفاعلية . (Al- Jihad, H. 2001))) لكونها استخفت بشخصه، وحملت على الطرب والشوق لجَلَدهِ وقوة نفسه، ومليكه لهواه وأمره، إذ يقول : (Qabawa, F. (1969)

إذا أَلحَمَ الواشونَ لِلشَرِّ بَينَنا تَبَلَّغَ رَسُّ الحُبِّ غَيرُ المُكَذَّبِ

وَما أَنتَ أَم ما ذِكرُها رَبَعِيَّةً تَحُلُّ بِإيرٍ أَو بِأَكنافِ شُربُبِ
أَطَعتُ الوُشاةَ وَالمُشاةَ بِصُرمِها فَقَد أَنهَجَت حِبالُها لِلتَقَضُّبِ
وَقَد وَعَدَتكَ مَوعِداً لَو وَفَت بِهِ كَمَوعودِ عُرقوبٍ أَخاهُ بِيَثرِبِ
وَقالَتلها : وَإِن يُبخَلْ عَلَيكَ وَيُعتَلَل تَشَكَّ وَإِن يَكشِف غَرامَكَ تَدرِبِ
فَقُلتُ لَها : فيئي فَما تَستَفِزُّني ذوات العيون والبنان المخضب

وفي الأبيات الشعرية أعلاه تبرز لغة الشاعر بشكل جلي، وهي ترسم صورة معاناته وغربته من خلال أداة الشرط (إذا) التي غيرت موازين الهوى وبلغة التضاد، وكذلك مستبدلاً الحب بالتجافي والكذب بالصدق، والغدر بالوفاء، والاستخفاف بالكرامة من القول : إذا ألحم الواشون للشر (فعل شرط) متعلق بجوابه (تَبلَّغ رسُّ) وكذلك (وإن يكشف غرامك) فعل الشرط وجوابه (يُدْرَب). هكذا عشَّق الشاعر كلام الحب بالفن ليعط صورة شعرية من خلال التضاد المقرون بفعل الشرط وجوابه صورة لرسم هيبة الفارس الذي يأبى الإنصياع لأوامر من أحب؛ لكونه عَشَقَ الشموح والعزّة قبل أن يعشق الهوى، مستروحاً هوى الكبرياء مُطَلِّقاً هوى الحب وإن كان متغنياً فيه.

وهذا الأمر يتجلى عند الشعراء الفرسان المتحدثين عن النساء الحبيبات، والذين كان مبعث حديثهم يعود إلى الصلة الوطيدة بشرف القوم وعزتهم، وحماية أعراضهم، ولعل هذا الشعور المتنامي المبني على روح المروءة والشهامة المتأصلة في نفوسهم، والمتمثلة بالإسراع على تلبية النداء، ونصرة المستغيث المكروب، وحماية الضعيف وتهدئة المرعوب ولا سيما النساء(Al-Jundi, A. 1991) وللحبيبة النصيب الأكبر من هذا الإهتمام.

وهذا ما جسده قيس بن الخطيم، وهو يبوح بقريحة الذات بالحديث عن سلسلة ذكرياته مع محبوبته (عَمْرة) في شكوى مرّة ناتجة عن أثر الصدود والهجران، صابر على ما قد حصل، سعياً لتجبير الخواطر بفرحة لقاء، مستطرداً في الحديث عن خصالها الحميدة، وجمالها الخارق،مفتخراً بقومه وفعالهم، ومواقفهم النبيلة، نخوتهم وغيرتهم، حميتهم، ونصرتهم، إذ يقول: (Al-Assad, N. 1967).

أَجَدَّ بِعَمرَةَ غُنيانُها فَتَهجُرَ أَم شَأنُنا شانُها
وَإِن تُمسِ شَطَّت بِها دارُها وَباحَ لَكَ اليَومَ هِجرانُها
وَعَمرَةُ مِن سَرَواتِ النِسا ءِ تَنفَحُ بِالمِسكِ أَردانُها
وَنَحنُ الفَوارِسُ يَومَ الرَبيـ ـعِ قَد عَلِموا كَيفَ فُرسانُها
جَنَبنا الحِرابَ وَراءَ الصَريـ ـخِ حَتّى تَقَضَّفَ مُرّانُها

ارتبط فن الغزل بالفروسية وبقاسم مشترك ينطوي تحت تسمية الحب، لكونه رمز الوفاء المبني على روح التآزر وشد الوثاق، بعهودٍ صادقة لا تعرف إلا الوضوح، ومن وفاء العرب إلتزامهم بأخلاقهم وقيمهم، وذكر الحبيبة جزءا من هذه المفاهيم التي تستحق الإجلال والتقدير لدى ذواتهم، وبقدر اعتزازهم بفروسيتهم إعتزوا بحبيباتهم وبنظرة مستقبلية يسودها التفاؤل والأمل، ومثلما افتخروا ببطولاتهم وأمجادهم افتخروا بهن، لكونهن أساس الوجود الإنساني، والمبعث لعطائه، والدافع القوي في إظهار فروسيته وبطولاته للتفاخر أمام من أحب، وهي فكرة رائعة رامية إلى التوصيل الذي يحمل روح التوافق بين المنتج والمتلقي مهما تعددت حالاته وقدراته في المواقف المتباينة لدى الأطراف المتقاطعة وهذا يدخل ضمن التدرج للحالات الشعرية.(Fadl, S. 1995) وهي فكرة هادفة إلى ترميم العلاقة، أسلوباً اعتمده الشاعر لكسب عواطف الآخرين بحديث القيم.

وقد تجسدت هذه الأفكار في دالية الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) وهو يروي قصته مع مَنْ أحب (قَتْلُ) في شكوى عصبية عِبْرَ رسائل شعرية موغلة بالتكرار والتوكيد على ضرورة التواصل، مؤكداً لها بثبات الحب، لأنه إرتمى في أحضانه، ووقع في شباكه، معاتباً إياها تجافيها وهجرانها وجحودها بالعهود، فهو المغرم المتيم، والعاشق الولهان، مسترسلاً بالحديث الموغل بالنصيحة الراشدة، دعوة لترميم العلاقة بين الطرفين، مستطرداً خصالها من حسن وجمال، إذ يقول: (Hussein, M 1950)

أَلا يا قَتلُ قَد خَلُفَ الجَديدُ ... وَحُبُّكِ ما يَمُحُّ وَما يَبيدا
وَقَد صادَت فُؤادَكَ إِذ رَمَتهُ ... فَلَو أَنَّ اِمرَأً دَنِفاً يَصيدُ
وَلَكِن لا يَصيدُ إِذا رَماها ... وَلا يصطادُ غانِيَةٌ كَنودُ
عَلاقَةَ عاشِقٍ وَمِطالَ شَوقٍ ... وَلَم يَعلَقكُمُ رَجُلٌ سَعيدُ
أَلا تَقنى حَياءَكَ أَو تَناهى ... بُكاءَكَ مِثلَ ما يَبكي الوَليدُ
أَرَيتُ القَومَ نارِكَ لَم أُغَمِّض ... بِواقِصَةٍ وَمَشرَبُنا زَرودُ
فَلَم أَرَ مِثلَ مَوقِدِها وَلَكِن ... لِأَيَّةِ نَظرَةٍ زَهَرَ الوَقودُ
أَضاءَت أَحوَرَ العَينَينِ ظَفلاً ... يُكَدَّسُ في تَرائِبِهِ الفَريدُ
وَوَجهاً كَالفِتاقِ وَمُسبَكِرّاً ... عَلى مِثلِ اللُجَينِ وَهُنَّ سودُ
وَتَبسِمُ عَن مَها شَبِمٍ غَرِيٍّ ... إِذا يُعْصَى المُقَبِّلَ يَستَزيدُ

لقد أجاد شعراء الفروسية استخدام شتى السُبل الرامية للوصول إلى مَنْ يهوون ويحبون وهم يبثون قولهم برسائل شعرية تَضمنَتْ معانيها عتاب حاد، وبأفكار متسلسلة في الطرح للإفصاح عما في دواخلهم من حزن وهم، وكدر وغم، في ليل قد أرقهم وشغل بالهم. ولا يمكن أن تتحقق

DOI: 10.18860 /ijazarabi.v5i2.15534
ISSN(print): 2620-5912 | ISSN(online): 2620-5947

السعادة لهم إلا بتطابق الآراء، وانسجام النفوس واختلاطها بهوى الحب المبني على روح العفو والتسامح، وعدم التشدّد في طرح الرأي فبذلك تنتهي القضية لصالح المحبين فيملأ قدرهم بفرحة اللقاء. لذا فضَّل الشاعر الجاهلي هذا السلوك المؤطر بالتكتيك والإستدراج لكسب الطرف الآخر (المرأة)، ((لأنها تمثل الركيزة الأساسية لأي مجتمع ناهض يسعى إلى الرقي والتقدم)). (Salem, A. M. 2012) المبني على روح التوافق والإنسجام لبناء العش الذهبي، وللتعايش مع بعضهم على وفق الضوابط الأسرية والإجتماعية معاً، إيماناً بالقول الصائب: ((أن المرأة هي شطر الحقيقة، وإن الرجل الشطر الآخر، ويجب أن يكونعمل كل منهما مكملاً لعمل الآخر في الوجود)). (Salem, A. M. 2012) لوضع حجر الأساس لمجتمع مثالي غُرِسَتْ جذورُه ببذور النبل والأصالة والإخلاص.

وطرفة بن العبد من بين هؤلاء الفرسان الذين اكتوت أفئدتهم بلوعة الفراق، لذا نجدُه يسترعي الإنتباه بخطاب شجي حاد موجه إلى من تربطه بهم ألفة ومودة، وحسن معشر لكي ينظروا قضيته وما يتعلق بخصوصيته من أخبار، محملاً إياهم أمانة التبليغ إلى من يهمه الأمر محبوبته (خولة) التي أرقتْهُ، وسلبت فؤاده بجمالها،مفتخراً بنفسه وقومه الذين يعطفون الخيل على مواجهة الخصم في يوم عصيب يدفع بالمرأة إلى التشبث بالأساليب التي تبعث روح الإثارة لدى المقاتلين من أجل الإنتقام من الخصم، بعد أن كشفت وجهها لتجعل من العماموالخوال سنداً وذخراً للدفاع عن شرفها وكرامتها، إذ يقول :(Al-Khatib, D., & Al-Sakkal, L. 2000)

يا خَلِيلَيَّ قِفَا أُخْبِرْكما ... بأحاديثَ تَغَشَّتْني وَهَمْ

أَبْلِغَا خولةَ أَنّي أَرِقٌ ... لا أنامُ الليلَ مِن غيرِ سَقَمْ

كُلمّا نامَ خَلِيٌّ بَالُهُ ... بِتُّ لِلْهَمّ نَجِيًّا لم أَنَمْ

مَنَعَ التّغميضَ جَفْني ذِكْرَها ... فهي هَمّي وحديثي وسَدِمْ

صَادِتِ القلبَ بَعَيْنَيْ جُؤْذَرٍ ... وبِنَحْرٍ فوقَهُ المرجانُ جَمْ

وَبِمُسْتَنٍ على أَرْدَافِها ... مُسْبَكِرٍّ كعناقيدِ السّخَمْ

وبوجهٍ لم تَشْنِهُ خِفَّةٌ ... زَانَهُ الخَدُّ، وعِرْنِينٌ أَشَمّْ

أَصلحُ الناسِ، إذاما اشْتَمَلَتْ ... وبَدا خلخالُ سَاقٍ وَقَدَمْ

مُنْيَةُ النّفسِ، إذاما جُرِّدَتْ ... وَمَشَتْ بين حشايا وقُدَمْ

ونَكُرُّ الخيلَ في أدبارِها ... يومَ لا يَعْطِفُ إلا ذو كَرَمْ

يومَ لا تَسْتُرُ أنثى وجهَها ... تَحْسِبُ الأبطالَ خالاً وابنَ عَمّْ

وتبرز لغة الشاعر في الأبيات الشعرية أعلاه وبشكل جلي من خلال استخدامه صيغتي الطلب والنداء (يا خليلي قفا - وأبلغا) في صدري البيت الأول والثاني، وهي دعوة لبث أخباره المكنونة في دواخل

الذات، مطلقاً عنان غربته بمزيد من الأسى، ولم يكتف بهذا القدر بل استعان بفعلي المضارع المسبوقين بالنفي في عجزي البيت الثاني والثالث، صورة لطرد الكرى ومنع تغميض الجفون، وفي الوقت نفسه تحمل صورة تعبيرية أخرى لرسم حالة الذات الموغلة بالهم والسقم من خلال استخدامه لفعل الماضي المتصل بتاء التأنيث الساكنة (صادتْ) في البيت الخامس، صورة استعارية لرسم هيمنة الحب واستسلامه إليه، وهي صورة تصريحية أصلية من أجمل الاستعارات للتعبير عن المعنى.

وتبقى بصمة الهوى عند العاشقين الفرسان جُرسٍ يَدقُ في مخيلة الذاكرة، يدفعهم إلى الإلحاح بالحديث وبأدق التفاصيل لما فيه من ذكر وتذكار، في سرد لأفكار الهوى وتلاعب الأقدار، ولم يكن نتاج هذه الرؤية المثقلة بالمعاناة إلا لقلوب قد قَسَتْ بسهام الحب من صدود وهجران، وبعد لخلان، وهو شعور وجداني صادق بوصفه ((نوع من الشعور الباطني ليس يخضع لسلطان خارجي، وهذا الشعور هو الذي كان يحمل الناس على السير في طرق خاصة قبل أن تبحث النظريات الأخلاقية بحثاً فلسفياً بأزمان طويلة))(Amin, A. 1949) . هكذا كان الشاعر القديم يقف برؤيته وفي أغلب الأحيان عند حدود الوجه الواحد، فإذا هو رأى الوجه المطرب طرب، وإن رأى الوجه المحزن حزن (Ismail, E. 1996). تبعاً لعلاقة الفارس مع مَنْ يُحب ولاسيما إذا كان الفارس متعمقاً في هواه، مخلصاً له، يدفعه إلى مقاومة الظروف المحاطة به، مؤمناً بالقول : ((لولا المقاومة لما كان للإرادة أن تظهر وتعمل))(Mourad, Y. 1998). لذا بَثَّ أفكاره بشيء من التفصيل وبكلِّ صراحة سعياً للإفصاح عما يدور في خلجات الذات من جهة، ولإعلام الطرف الآخر من جهة أخرى بهذا التواصل الروحي المبني على روح المودة والإخلاص، والموثق بالعهود الملزم بتنفيذها.

وقد رسم لنا الحادرة جانباً من جوانب معاناته الغرامية بعد غياب قد طال أمده عن سمية من دون حجة أو تبرير على الرغم من حرصه الشديد على إدامة الصلة مع مَنْ تجافاه، مستطرداً صفاته، وبواعث دواخله إتجاه من إبتدأ بالنأي والصدود لكي لا تظنُ به الظنون، مسترسلاً بالحديث الموثق كسراً للخواطر، ولم يكتف بهذا القدر بل يتوجه بالنصيحة الموقرة بضرورة استبدال النأي بالقرب والهجران بالتراضي، مطمئناً حالها من جانبه من خلال الوصف والإعجاب بمفاتنها، والتغزل بشخصها، مفتخراً بما يحمله من صفات العهد والثبات، وتحمل مشاق الحب؛ لكونه الفارس الذي لا يريب، ومن القوم الذين لا يعرفون إلا الإباء والشموخ، ذلك الصنديد الحامي، والمدافع عن الأهل والأحباب، والمراهن على الثبات، والمواصلة مهما اشتدت به أيام الهوى، إذ يقول (Al-Assad, ND. 1973)

DOI: 10.18860 /ijazarabi.v5i2.15534
ISSN(print): 2620-5912 | ISSN(online): 2620-5947

بَكَرَتْ سُمَيَّةُ بُكْرَةً فَتَمَتَّعِ وغَدَتْ غُدُوَّ مُفَارِقٍ لم يَرْجِعِ
وتَزَوَّدَتْ عَيْني غَدَاةَ لَقِيتُها بِلِوَى عُنَيزةَ نَظْرَةً لم تنفعِ
وتصدَّفَتْ حتَّى اسْتَبَتْكَ بواضِحٍ صَلْتٍ كمُنْتَصِبِ الغَزَالِ الأَتْلَعِ
وبِمُقَلتَيْ حَوْرَاءَ تَحْسِبُ طَرْفَها وَسْنَانَ، حُرَّةِ مُسْتَهَلِّ الأَدْمُعُ
وإذا تُنَازِعُكَ الحدِيثَ رأَيتَها حسناً تَبَسُّمُها، لذيذَ المَكْرَعِ
كغريضِ سارِيةٍ أَدَرَّتْهُ الصَّبا مِن ماءِ أَسْجَرَ طَيِّبِ المُسْتَنْقَعِ
ظَلَمَ البِطاحَ لهُ انهلالُ حَرِيصةٍ فَصَفا النِّطافُ لهُ بُعَيْدَ المُقْلَعِ
لَعِبَ السُّيُولُ به فأَصبَحَ ماؤُهُ غَلَلاً تَقَطَّعَ في أصولِ الخِرْوَعِ
أَسُمَيَّ وَيْحَكَ ! هل سمعتِ بِغَدْرَةٍ رُفع اللِّوَاءُ بها لنَافِي مَجمعِ
إِنَّا نَعِفُّ فلا نُرِيبُ حَلِيفَنَا ونكُفُّ شُحَّ نُفوسِنا في المَطْمَعِ
ونَقِي بِآمِن مَالِنَا أَحسابَنا ونُجِرُّ في الهَيْجا الرماحَ ونَدَّعِي
ونُقيمُ في دارِ الحِفاظِ بُيُوتَنا زَمناً، ويَظْعَنُ غَيْرُنا لِلأَمْرَعِ

تظل المرأة الجاهلية عند شعراء الفرسان محطاً للذكر والقول تختلط فيه فروسية الشاعر لكي يعزز كرامته، وكرامة مَنْ يُحب ((وهذا هو غزلهم، حب صادق غير كذوب، وغزل عفيف تتجسد فيه كل معاني العفة والشرف والغيرة))(Al-Hadithi, B. A. G. 1992). والمروءة، وفي الوقت نفسه أن ((الفروسية في جوهرها موقف أخلاقي، وليس السلاح الذي تحمله إلا وسيلة لتحقيق الوجه العملي لهذا الموضوع الأخلاقي. كان سلاح الفارس دائماً في خدمة عقيدته التي آمن بها. ولم تكن عقيدة الفارس عقيدة فردية يلتزم بها الفارس وحده، بل كانت مجموعة من المبادئ التي تشكل في جملتها مفهوم الفروسية في مجتمع الفروسية))(Hassan, T. V. o. A. 1972). هكذا غُرِسَتْ في نفسية الشعراء القيم والمبادئ بوصفها الدستور الضابط والضاغط للمجتمع، والمعتمد لحفظ النظام. فالعربي مثلما يتمسك بثوابت الرجولة يتمسك بثوابت الشرف والعرض وسمعة المرأة؛ لكونها جوهرة وجوده، ورمز بقائه، وعز داره، لذا تغنى الشعراء بهذا الكنز الإنساني، وهي ثقافة أدبية مغناة بلغة الشعر الوجداني الذاتي الهادف إلى بث أفكارهم البناءة من أجل بناء مجتمع قيمي مثالي خالص من كل شاردة وواردة.

ونجد مصداق هذا القول عند بشر بن أبي خازم الأسدي، الذي أدلى بما جاشت به قريحته من أخبار عن قصة هواه مع محبوبته (إدام) حين يراها أمام عينيه ولا يصدق من شدّة ولعه وتعلقه الذي وصلت ذروته إلى الهيام، معاتباً ذويه لعدم مناصرته إياه، مستشعراً برحيلها وإن كان على يقين الخبر المخالف لرؤيته، مستعرضاً بالوصف خصالها وحسن جمالها فإنتابه شك إنه كما يهواها،

يهواها آخرون، مسترسلاً بالحديث ليعط صورة لشكلها الخارجي المتوازن والمتكامل في الجمال الذي يخلو من كل عيب فضلاً عن كرم أخلاقها بلا غبار. ثم يظهر فروسيته وموقفه ضد قوم خرجوا عن مفاهيم الإخوة، حسن الجوار، والصداقة والحلف بعد أن كانوا في ذراهم وحماهم، وأمرتهم، مفتخراً بقومه وأهله وأحبابه لموقفهم وحسن بلائهم في سوح الوغى، إذ يقول:(Al-Qaisi, N. H. 2004) .

أَحَقٌّ ما رَأَيتُ أَمِ اِحتِلامُ ... أَمِ الأَهوالُ إِذ صَحْبي نِيامُ
أَلا ظَعَنَت لِنِيَّتِها إِدامُ ... وَكُلُّ وِصالِ غانِيَةٍ رِمامُ
جَدَدتَ بِحُبِّها وَهَزَلتَ حَتّى ... كَبرتَ وَقيلَ إِنَّكَ مُستَهامُ
وَقَد تَغْنى بِها حيناً وَنَغنى ... بِها وَالدَهرُ لَيسَ لَهُ دَوامُ
لَيالِيَ تَستَبيكَ بِذي غُروبٍ ... يَرِفُّكَأَنَّه وَهناً مُدامُ
وَأَبلَجَ مُشرِقِ الخَدَّينِ فَخمٍ ... يُسَنُّ عَلى مَراغِمِهِ القَسامُ

... ...

وَكانوا قَومَنا فَبَغَوا عَلَينا ... فَسُقناهُم إِلى البَلَدِ الشَآمي
وَكُنّا دونَهُم حِصناً حَصيناً ... لَنا الرَأسُ المُقَدَّمُ وَالسَنامُ
وَقالوا :لَن تُقيموا إِن ظَعَنّا ... فَكانَ لَنا وَقَد ظَعَنوا مُقامُ
أَثافٍ مِن خُزَيمَةَ راسِياتٌ ... لَنا حِلُّ المَناقِبِ وَالحَرامُ

وعلى الرغم من اهتمام الفرسان العشاق بمن يحبون واقعياً إلا أن لهم صوراً شعرية أخرى تعتمد على عنصر الخيال لرسم صورة الحبيب إذ يستذكرون الأيام السالفة التي قد تكون المحرك لرؤية الحبيب شكلاً ومضموناً ولعل هذه الرؤية وإن كانت تخلو من الحقيقة إلا أنها أثارت لهم هذه الحقيقة وقربتهم لها إذ جعلتهم يعيشون الموقف أو الحدث وكأنه وليد الساعة. وإذا كان هذا الطيف الوهمي يفعل بهم هكذا فكيف بهم وهم يعشقون الحقيقة بأنفسهم وفي كل يوم؟

هكذا تهتز مشاعر الجاهلي شوقاً لتلبية إرادة الذات وميول الهوى الذي يجري في العروق مجرى الدم في الأجساد، متأقلماً مع أجوائها الغرامية وإن كانت مشحونة بالسخط في بعض الأحيان وبالرضا في أحايين أخرى، متمتعاً بهذه المفارقات أو العلاقات التي لا تخلومن صدأ سيوف الحب المزمجرة بنشيد الهوى وتذبذباته، والذي يُعَدُّ ((اللحن الذي تعالى من الأعماق الأزلية، ليظل متعالياً حتى نهاية الأبدية، تختلج به من الأعماق وتضطرب به الجوانح، وتسمو بصفاته الأرواح، ويطلقه المحبون على شفاههم في شبه صلوات وتراتيل))(Kamal, A. 1983). وذلك لشدة إرتياحهم لهذا الجرس الموسيقي الذي ينسجم وقضيتهم ((التي تساعد على التحريك العاطفي والافضاء أو التي

تهدف إلى السيطرة على الحزن)) (Al-Jundi, A. 1991). الذي خيم أفئدتهم بسبب عدم استقرار النفوس المكدرة بنيران الهوى.

وقد صَوَّرَ لنا عنترة بن شداد في لاميته موقفه، وهو يعيش في عالمين متناقضين هما الحلم والحقيقة، وشتان ما بين الاثنين وعلى الرغم من ذلك فقد جعل من هذه النظرة المتضادة صورة لرسم الحقيقة لمحبوبته (عَبْلة) المخزونة في مخيلة الذاكرة والتي أفضت به إلى أن يغضب ولا يحكم سيطرته؛ لأن سبيل الهوى قد اجتاح جسده، ففاضت عبرته فرصة لإطفاء جمرة الذات التي انتكسَتْ بالغرام، وتقوقعت في حبل الملامة وسط أجواء نفسية تعج بالشكوى ((فالدافع نفسي وذاتي، وهو قوي، لأنه صادق وأصيل، غير دخيل ومفتعل، يمثل حقيقة ما يشعر به الشاعر من تلقاء نفسه))) Al-Jundi, A. (1991 فبذلك دفعته غيرته نحو مَنْ أحب،متوجهاً بالسؤال لكي يقبر شكواه وغربته، حفاظاً على أمر قد بناه منذ صغره بحجر أساسه العهد والوثاق، مكرراً صيغة الاستفهام (كيف) بحثاً عن جواب عاجل، وسيلته الرامية لقبر كوامن الذات واجتثاثها من الأعماق، فجعل من الجواب وسؤاله جسراً يمرر به شحناته وآهاته تخفيفاً لألم الذات من خلال أسلوبه الحواري الذي ((يقوم أساساً على ظهور أصوات أو صوتين على أقل تقدير لأشخاص مختلفين. ومألوف في الشعر القديم الأغلب الأعم))(Ismail, E. 1996) . وبكل وضوح وعلى ملأ الناس. وعلى الرغم من شجاعته إلّا أنه يعطي الأهمية للشجعان والرجال الأشداء من أهل حبيبته فلا يسمح لذاته أن يتحداهم، وهي صورة مُشرِقة لإنصاف ذويه وأحبته، إذ يقول :(Trad, M. 1992)

أَتاني طَيفُ عَبلَةَ في المَنامِ فَقَبَلَني ثَلاثاً في اللَثامِ
وَوَدَّعَني فَأَودَعَني لَهيباً أُسَتِّرُهُ وَيَشعُلُ في عِظامي
وَلَولا أَنَّني أَخلو بِنَفسي وَأُطفِيءُ بِالدُموعِ جَوى غَرامي
لَمُتُ أَسىً وَكَم أَشكو لِأَنّي أَغارُ عَلَيكِ يا بَدرَ التَمامِ
أَيا اِبنَةَ مالِكٍ كَيفَ التَسَلّي وَعَهدُ هَواكِ مِن عَهدِ الفِطامِ
وَكَيفَ أَرومُ مِنكِ القُربَ يَوماً وَحَولَ خِباكِ آسادُ الأَجامِ

وتبقى شخصية عنترة مثلاً أعلى يقتدى به، ويحتذى حذوه، تلك الشخصية التي تميزت بخصالها وبكل ما يرفع الشأن والمكانة ((الترفع عن الدنايا، والتحلي بكل ما يراه مجتمعه فضيلة في النفس والخلق))(Al-Asad, N. A.-D. 2013). فهو الذي لا يزور الجارة إلا بوجود البعل، وإذا خرج غازياً لم يغشاها حفاظاً على العرض والشرف، ويغض الطرف إذا بَدَتْ له جارته حتى دخولها مأواها، مستخدماً إن الشرطية الموطئة للقسم ليجعل من فعل الشرط وجوابه (سألت، خَبَّرَتْ) في البيت

الخامس، صورة في ذهن المتلقي بمزيد من الاثبات لهذه الحقائق، فهو المخلص الوفي، الشريف الطاهر، المتمسك بحبل الخليل، والمدافع عنه إذا استوجبَ الأمر ذلك، إذ يقول :(Trad, M. 1992)

أَغشى فَتاةُ الحَيِّ عِندَ حَليلِها وَإِذا غَزا في الجَيشِ لا أَغشاها
وَأَغَضُّ طَرفي ما بَدَت لي جارَتي حَتّى يُواري جارَتي مَأواها
إِنّي اِمرُؤٌ سَمحُ الخَليقَةِ ماجِدٌ لا أُتبِعُ النَفسَ اللَجوجَ هَواها
وَلَئِن سَأَلتَ بِذاكَ عَبلَةَ خَبَّرَتْ أَن لا أُريدُ مِنَ النِساءِ سِواها
وَأُجيبُها إِمّا دَعَت لِعَظيمَةٍ وأَعينُها وَأَعِفُّ عَمّا ساها

تبين لنا أن الشخصية العربية بُنيَت جذورها على قيم الأصالة والثبات وعدم التخلي عنها، لأنها متأصلة في نفوسهم، ومتجذرة في طبائعهم منذ الخليقة، وكان للبيئة العربية وقيمها الكريمة والأصيلة في نفس الشاعر الجاهلي عمق الأثر في ظل وعّيه وثقافته الهادفة إلى تشذيب وتهذيب النفس لنشر الفضيلة، لذا جاءت قصائدهم تتمنطق بقول الحق لنشدان الحقيقة كشاهد ودليل، أسلوباً مُتبعاً لقطع جذور الطعن بهتاف وفاء العهد بعيداً عن الزيف والكذب والنفاق والدجل، في رسائل شعرية تضمنت معانيها النصح والإرشاد في ضوء تجاربه وتراكم خبراته عبر سلسلة حياتية إبتدأتْ بالغرام ونشيد الهوى المطعم بالبطولة وانتهتْ بالشموخ والإباء وعدم التنازل عنها على وفق تطبيقه لبنود دستوره القيمي والأخلاقي.

الخاتمة

بعد أن أمعنّا النظر في النصوص الشعرية التي تتعلق بظاهرة (جدلية الغزل والحماسة في الشعر الجاهلي، دراسة موضوعية وفنية) وحللناها تحليلاً موضوعياً وفنياً للوقوف على آراء وأفكار الشعراء المطروحة بصدد هذا الموضوع من جهة، وبكيفية عرضها على وفق منهج أسلوبي وتحليلي في الوقت نفسه، وقد التمسنا ما يرفع الشأن لكلا الطرفين المتكلم (الشاعر) والمخاطب (المرأة) كما تمركز الحديث بخصوصية الهوى والغرام وما تسفر نتائجه عن سخط أو رضا تبعاً لما يتطلبه الموقف أو ما تملي عليهم من ظروف تجبرهم على الصدود والهجران، وقد يجمع الله شملهم بعد أن كانوا يظنون لم تجر المياه على مجاريها الحقيقية ولكن حكمة الباري كفيلة أن تستبدل الحال من حال إلى حال. فجاءت نتائج البحث على النحو الآتي :

١. أثبتت الدراسة أن جدلية الغزل والحماسة ظاهرة إنسانية، ولّدتها طبيعة البيئة فجعلت من العربي، الفارس الحامي، والمغرم الوفي.
٢. لم يكن حب العربي وغزله مقتصراً على من يهواه بل كان للقيم والأرض والقبيلة نصيباً آخر.

٣. برزت معاناة الشعراء مقرونة بالألم والحسرة على أثر الصدود والهجران على الرغم من تحليهم بالصبر بشكل لافت للنظر.

٤. لقد امتزجت معاناة المحبين بالشكوى على الرغم مما يمتلكوه من قدرات على تمرير قضاياهم بما يخدم الطرفين من امتصاص لأزمة حلاً لقضية وذلك لحسن تقديرهم للموقف.

٥. وللمرأة شعور واحساس يتعارض أحياناً مع من تحب، وذلك لعدم توافق الآراء ولا سيما إذا كان الأمر يتعلق بالشأن والمكانة، والعزة والكرامة، والشموخ والكبرياء.

٦. برزت ظاهرتي شعور مشترك جمعت إرادتي شاعر الغزل وشاعر الحماسة.

٧. إن لكلا الطرفين شخصية تمثلت بالاعتداد الشخصي وحب الذات وهي جهود حثيثة ترمي للمحافظة على السمعة والذكر الحسن وبكل ما يعزز هذه الشخصية.

References

Abdel-Baqi, Z. (1972). Social thinking, its origin and development. Cairo: Culture Publishing Press/Modern Cairo Library

Abdullah, M. S. H. (1985). The fertility of the pre-Islamic poem and its renewed meanings, study, analysis and criticism, House of Arab Thought, , p. 111. Cairo,: Dar El Fikr El Arab

Al-Asad, N. A.-D. (2013). Investigations in Language and Literature, Nasir al-Din al-Assad, Arwaq al-Thaqafa for Studies and Publishing, Amman, 1st Edition, 2013 *AD*, pg. 168. (1 Ed.).

Al-Assad, N. (1967). The Diwan of Qais bin Al-Khatim. Beirut: Dar Sader.

Al-Assad, N. a.-D. (1973). Diwan Al-Hadhira. Beirut: Dar Sader,

Al-Baldawi, A. A. a.-N. (1988). Facts in Literary Papers (Vol. D-I). Baghdad: Asaad Press.

Al-Hadithi, B. A. G. (1992). Critical studies in Arabic poetry (1 Ed.). Baghdad: House of General Cultural Affairs

Al-Jihad, H. (2001). The philosophy of pre-Islamic poetry, an analytical study in the Arab poetic consciousness movement (1 Ed.). Damascus: Dar Al-Hoda for Culture and Publishing

Al-Jundi, A. (1991). In the history of pre-Islamic literature. Cairo: Dar El Fikr El Arab

Al-Jundi, A. (1991). In the history of pre-Islamic literature. Cairo: Dar El Fikr El Arab.

Al-Jundi. War poetry in the pre-Islamic (Vol. 1). Cairo The Anglo-Egyptian Library

Al-Khatib, D., & Al-Sakkal, L. (Eds.). (2000). The Court of Tarfa Bin Al-Abed, Sharh Al-Alam Al-Shantamari. Department of Culture and Arts: Arab Foundation, Beirut

Al-Qaisi, N. H. (2004). Equestrianism in pre-Islamic poetry. Beirut: The World of Books.

Amin, A. (1949). Principles of Philosophy, A.S. Rapuert. Cairo: The Commission for Authorship, Translation and Publishing.

Fadl, S. (1995). Contemporary poetry styles (1 Ed.). Beirut: Dar Al-Adab.

DOI: 10.18860 /ijazarabi.v5i2.15534
ISSN(print): 2620-5912 | ISSN(online): 2620-5947

Hassan, T. V. o. A. (1972). The Court of Bishr Bin Abi Khazim Al-AsadiThe Court of Bishr Bin Abi Khazim Al-Asadi (2 Ed.). Damascus :Ministry of Culture Publications.

Hussein, M. (1950). Diwan Al-Aasha Al-Kabeer (Maymoun bin Qais) M. M. , . The Literature Library in Jammizet: The Model Printing House.

Ismail, E. (1996). Phenomena Contemporary Arabic poetry, its issues and its artistic and moral Beirut: House of Culture.

Kamal, A. (1983). The soul, its emotions, diseases, and treatment (2 Ed. Vol. 2). Cairo: Wasit House for Printing and Publishing

Mourad, Y. (1998). Principles of General Psycholog (1 Ed.). Egypt: Dar Al Maaref.

Qabawa, F. (1969). Diwan Alqama Al-Fahal (1 Ed.). Aleppo,: House of the Arab Book in Aleppo/Al-Aseel Press, Aleppo

Salem, A. M. (2012). Women in modern Arab thought. Cairo: The Egyptian General Authority for Writer

Trad, M. (1992). Explanation of Antara Divan, Al-Khatib Al-Tabrizi (1 Ed.). Beirut: Dar Al- Kitaab Al-Arabi.